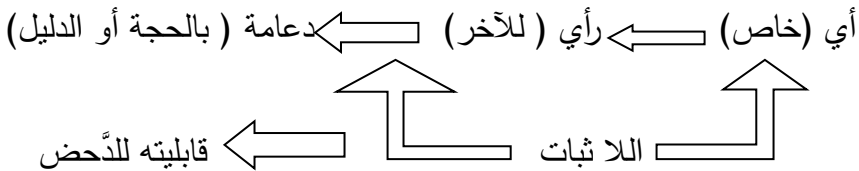


الآليات الحجاجية في نقائص جرير والفرزدق من خلال نقيضتيهما "سم نافع" و"إن الذي سمك السماء"

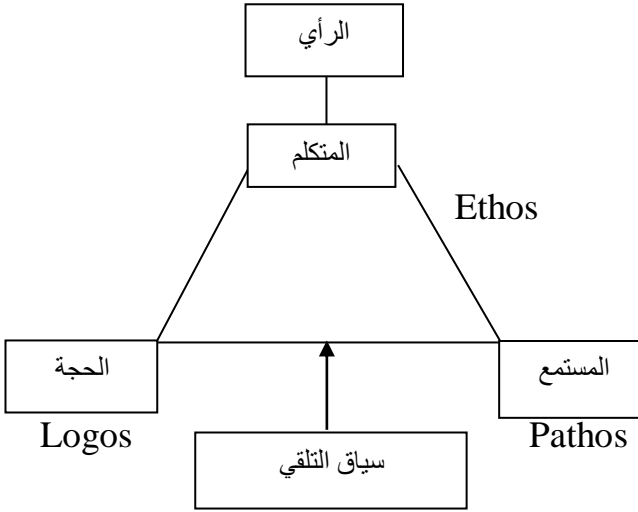
أ.مكلي شامة

جامعة تيزي وزو

ينتقد "فيليب بریتون" في كتابه الحجاج والتواصل L'argumentation dans la communication المخطط التواصلی التقليدي (المرسل - الرسالة - المرسل إليه). فإذا كان هذا المخطط يؤدي غرضه في حالة العملية التواصلية، فإنه يبقى مع ذلك في العملية الحجاجية ناقصا، فالفرق يكمن - في نظره - في كون العملية الأولى تعتمد على توصيل الأخبار، في حين تعتمد العملية الثانية على مطالبة الغير مشاركتنا الرأي بتجاوز عملية الإبلاغ والنقل إلى التأثير والتبليغ. ففي حين تكون المعلومة يقينية (كما في الحالة الأولى)، فإن الرأي يبقى احتماليا (كما في الحالة الثانية)، وينظر إليه من وجهات نظر متعددة. لذلك حاول اقتراح مخطط آخر - وهو ما يسميه بالمثلث الحجاجي -Le triangle argumentatif- حيث يكون فيه المرسل "عارضاً"، والمرسل إليه "معروضاً عليه"، واستبدال الرسالة بـ "الرأي" الذي يحتاج في حالة عرضه على الغير إلى دعم يكون بحجج قابلة للدحض حسب ما هو ممثل في هذا الشكل.

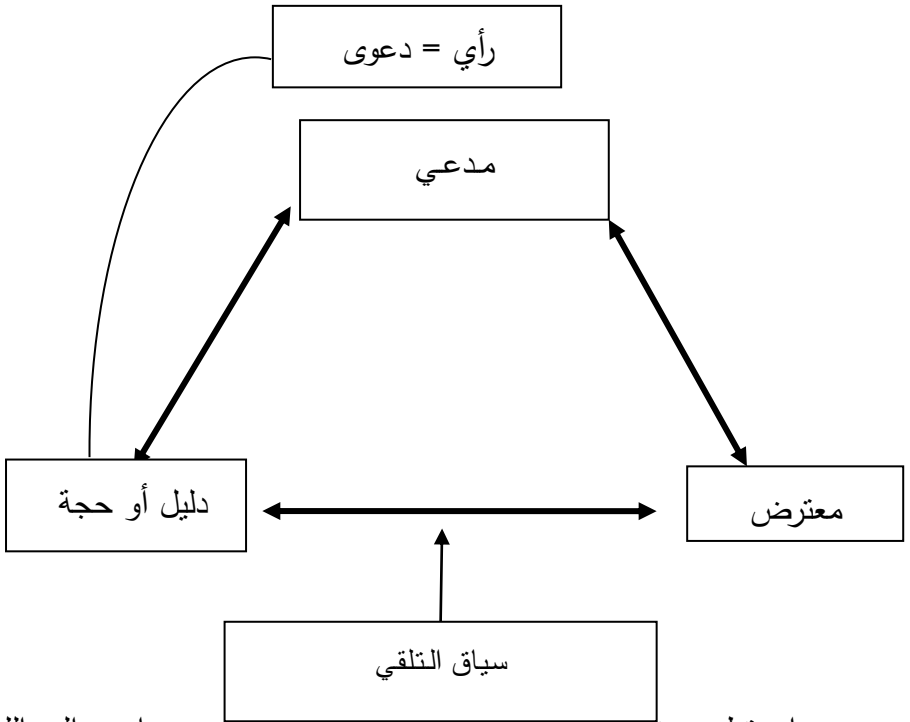


وقد عبّر عن ذلك في تساؤله التالي: "لماذا يجب أن نفرق بين ما نفكر فيه وما نقوله بين الرأي والحجة؟ وهل هنالك تفاوت بين هذين المستويين."¹ ويقدم ذلك وفق المخطط التالي:²



من جهته يرى "طه عبد الرحمن" أن الذات في العلاقة الاستدلالية ترتقي إلى مقامات أخرى، حيث يرتقي المتكلم إلى مقام "المدعي" والمخاطب إلى مقام "المعترض". فلا تتوقف وظيفة المتكلم في هذه الحالة على مجرد توجيه كلامه للغير لإفهامه معنى مخصوصا - كما هو معتاد في العلاقة التخاطبية- وإنما تتحول وظيفته إلى وظيفة تأثيرية "فاللغة ما لم تنقل إلى الغير ما يحمله على الحركة، فلا عمل تحتها"³ لأن حقيقة الخطاب لا تتوقف عند حد التوجه والإفهام، وإنما يتجاوزهما إلى قصدين آخرين هما "قصد الادعاء" و"قصد الاعتراض". فالاعتقادية التي هي من شروط الحوارية تُلزم المدعي تقديم حجج على ما يدعيه أو يعتقده، وإلا كان ذلك إما نقلا لقول غيره فلا يلزمه ذلك الاستدلال عليه، أو كاذبا فيكون عابثا باعتقاد غيره. كما يجيز للمعترض حق مطالبة المدعي التبدل على دعاويه⁴ ف"البينة على المدعي و اليمين على من أنكر."⁵

وعلى غرار ما ذهب إليه بريتون أجرى "طه عبد الرحمن" تقريبا بين الدليل والرأي، فمن الدلالات التي أعطاها للرأي الدلالة المنطقية العامة ويستعملها القائل ليفتح به خطابه استعدادا للتدليل عليه وهو ما يسمى ب «الدعوى». نستطيع تحويل مخطط العلاقة الاستدلالية السابق إلى المخطط التالي:



إن تطور منظور الباحثين، مثلما يرى ذلك مسعود صحراوي، إلى اللغة من كونها نظاما من الأدلة اللغوية إلى كونها أصبحت فعلا يمكن للإنسان أن يغير بها العالم المحيط به، أدى بالباحث "طه عبد الرحمن" إلى اعتبار "الادعاء و" الاعتراض و" التدليل "أفعالا لغوية إنشائية، لما لها من إثارة أفعال وردود أفعال. فالادعاء شرط من شروط المناظرة، بل هو قوامها والمبدأ الأساسي فيها. حيث لا يمكن للمدعي أن يدخل في مناظرة دون أن يكون له موضوع يجادل فيه، ويحاول إقناع الآخرين به. ويكون هذا الموضوع بمثابة دعوى يصدقها ويحاول

بكل الطرق الاستدلالية إقناع خصمه التصديق بها أو الاعتراض على صدقها، إذ من شروط الادعاء:⁶

- أن يعتقد "المدعي" صدق ما يدعيه، لكن تصديقه له لا يعني صدقه المطلق فالاعتقاد يعبر عن رأي المتكلم الذي ينتمي إلى المجال المحتمل للصدق والكذب. ويتعلق الأمر: بأطروحة، بفكرة ما، بمعتقد ديني، بوجهة نظر معينة. وهذا الرأي هو الذي تتأسس عليه الحجج في حالة عرضه على الغير، ولا يتم الإقناع فيه بالقوة.

- أن يطالب "المدعي" المعترض تصديق ما يدعيه بمشاركته رأيه.

- أن يكون "المدعي" بينة (أو دليل أو حجة) أو بينات على ما يدعي، وتعرض هذه البينات كتابيا (بواسطة كلمة، رسالة، كتاب، رسالة معلوماتية)، أو مشافهة بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة (الإذاعة، الهاتف، الرواية)، أو عن طريق الصورة.

- أن يكون للمعترض حق المطالبة بالبينات و تقويمها.

- أن يكون منطوق الادعاء صادقا، ومفهوما قابلا للتكذيب.

إن الإنسان ابن مجتمعه- كما يقول علماء الاجتماع- فمجمل أفكاره، وعاداته ومعتقداته نسخة مما هو سائد فيه، و"الثقافة من حيث هي تعبير فكري وأدبي انعكاس للعمل الاجتماعي و مظهر لما في هذا العمل من علاقات وأسباب وجهود مبذولة"⁷. لذلك كانت المواضيع التي تدور حولها نقائض جرير والفرزدق انعكاسا لما كان سائدا في العصر الأموي، بل هي امتداد لما كان سائدا في العصر الجاهلي. فالعربي البدوي في هذه الفترة كان يعتر بأمرين اثنين يصنعان عز كل قبيلة وهما: "الحسب والنسب" و"الملكة الشعرية" المعتمدة بطبيعة الحال على المعرفة الجيدة باللغة (نحو وتركيبا ودلالة). حتى أخذ الأدب مفهومه كما أورده "ابن خلدون" في مقدمته، حيث يرى أن "المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجابة في

فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم؛ فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة، من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة و النحو، ماثوثة أثناء ذلك متفرقة، يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر أيام العرب، يفهم به ما يقع في أشعارهم منها. وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة... ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف⁸ لأجل ذلك ركز الفرزدق باعتباره المدعي في هذه المناظرة على هذه الثنائية التي تتمحور حولها كافة الأدلة النصية.

آليات الإدعاء

إن الموضوع الذي تدور حوله المناظرة معروف سلفا بالاتفاق بين الطرفين، وهو مناقضة أحدهما الآخر قوله- وهذا ما تستدعيه المناظرة كمنهج- والنقائض في حقيقتها حاملة غرضين مهيمين على الأغراض الأخرى، هما: الفخر والهجاء، وهما غرضان متناقضان يستدعي أولهما وضع الذات المتكلمة في أعلى السلم الاجتماعي والثاني وضع الذات المخاطبة في أدنى هذا السلم. فالفخر بالذات يتضمن في الوقت نفسه تهميش الآخر في لحظة التلطف بالخطاب "ويكفي حجاجا أنّ الفخر هو مناط الحجاج هنا، إذ يضع الشاعر نفسه في أعلى السلم الحجاجي؛ لأنّ التلطف بالأنا يخفي الآخر، سواء أكان التلطف ظاهرا أم مخبوءًا بالتلميح إليها في الخطاب"⁹ يقول الفرزدق مباشرة في طرح موضوعه:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِيكُ، وَمَا بَنَى حَكْمُ السَّمَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ

إذ تجلى الحجاج في هذا المقطع عبر السلم المفهومي، فأشار "الفرزدق" إلى أن بيته - والذي يدلّ هنا على النسب العريق لعائلته- أعلى البيوت، حيث وضعه في أعلى السلم. وأن هذا الموقع لا يمكن لأحد أن يزيحه عنه معلا ذلك بأن الذي

بناه له هو "الله" سبحانه وتعالى، الذي عبّر عنه بثلاث صيغ مجازية تراتبية: أولها قوله (سامك السماء) التي تعني رافعها بالدرجة الأولى، وخالقها بالدرجة الثانية- خاصة إذا عرفنا أن أول ما خلقه الله في هذا الكون حسبما تشير إليه بعض التفاسير هي السماء- فينتج عن هذا الملفوظ أن الله خالق السماء ورافعها جعل نسب المدعي (وهو الفرزدق) أعرق وأطول نسب.

ثم أردف بهذه الصيغة صيغة أخرى تقع تحتها وهي قوله (المليك)، وجاءت على وزن "فعيل" وهي صفة مشبهة دالة على الثبوت أو شبهه، وأصلها مالك "اسم فاعل" التي تدل على معنى طارئ غير ثابت، ولا شبيهه بالثابت¹⁰. فصفة "المليك" هي صفة ليست بطارئة ولا عارضة ولا مؤقتة بزمن محدد، وإنما هي صفة لصيقة بالله تعالى وهو خالق الكون.

إن خالق الشيء لا بد أن يكون مالكة، ومالك الشيء حر التصرف فيما يملك وهو ما عبّر عنه الفرزدق بالصيغة الثالثة بقوله (حكم السماء)، وما أقره حكم السماء فلا مردّ له، لذلك لزم عن هذا كله الثبات والاستمرار. وهي بنيات لغوية أفرزتها السياقات الخارجية من معتقدات دينية كالإيمان بالجبرية. فبالاستدلال المنطقي يمكننا اعتبار هذه الملفوظات بمثابة حجة عقلية، حيث اتخذ الفرزدق من صفة الله خالق الكون والجاعل لهم فيه نسبا عريقا ومقاما رفيعا دليل على أن هذا النسب ثابت لا يتغير.

بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الصيغ "سامك السماء"، و"المليك"، و"حكم السماء" تتخذ خارج السياق اللغوي معنى تداوليا أو مقتضى تداوليا، حيث قام الفرزدق بنقل المقام أو الواقع الخارجي إلى داخل الملفوظ محققا بذلك فعلا لغويا آخر هو وجوب الطاعة والاستسلام لمشيئة الله، فلا مرد لمشيئته. ممهدا بذلك (ضمن الشروط التمهيدية لنجاح الفعل اللغوي) لنجاح باقي حججه، وواضعا في نفس الوقت المتلقي موضع الضعيف العاجز. ويدخل هذا أيضا -حسب فيليب

بريتون- ضمن الحقيقة العلمية التي ميّزها عن الحجّة، حيث يرى أن الحقيقة العلمية يقينية خاضعة للتجريب الذي يمنحها اليقين، ومثلها مثل المعتقدات الدينية أو الشؤون الإلهية، فما قاله الله لا بد من الأخذ به لأنه هو من يقول¹¹.

وما يدعم هذا الاعتقاد الأفكار السائدة في البصرة إبان حكم الأمويين فقد كانت الحياة السياسية فيها تتنازعها أربع فرق دينية في ظاهرها وسياسية في حقيقتها هي: أهل السنّة، الشيعة، الخوارج، المرجئة.

ويمكن تجسيد صورة هذا الاستدلال كما يلي:

م1: إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا أعزّ وأطول.

م2: ما بناه المليك ليس له من منقل.

نا: بيتنا أعزّ وأطول وليس له من منقل.

ولم يكتف المدعي في ادعاءاته بالطريقة غير المباشرة والمتمثلة في التضمين بل عمد أيضا إلى استعمال الإستراتيجية المباشرة بالتعبير الصريح على أن مكانة الخصم (وهو جرير) في أدنى السلم الاجتماعي قائلا:

ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْعُنْكَبُوتَ بِنَسْجِهَا، وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ¹²

يشير في هذا البيت إلى حجّة لا تقل عن الحجّة الأولى قوة، أخذا من معنى الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾¹³ حجة تعطي للنص سلطة لغوية انطلاقا من السلطة اللغوية للنص المنقول عنه. فاستكمال النص يمكنه تأكيد التضمين الذي يستدعيه المعنى في هذا الملفوظ. فالمدعي في هذه الحالة يؤدي وظيفتين:

- وظيفة الادعاء.

- وظيفة الاعتراض.

كما أن الادعاء في حقيقته ادعاءان:

1- ادعاء معنى جلي (ظاهر) وهو: بيتي أعلى من بيتك والظاهر من خلال البيتين السابقين (ص5).

2- ادعاء معنى خفي (ضمني): وهو معنى مضمر يمكن استنتاجه من المعنى الجلي - السابق - وهو: بيتك أدنى من بيتي.

والاعتراض أيضا في حقيقته اعتراضان:

- اعتراض جلي وهو: بيتك أدنى من بيتي، وهو اعتراض صريح على

الادعاء الخفي السابق، و الظاهر من خلال البيت التالي:

ضَرَبْتُ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا، وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ

2- اعتراض خفي وهو: اعتراض على أن بيت جرير أحسن من بيته، وهو

اعتراض خفي للادعاء الجلي السابق.

في ظل هذا الازدواج الوظيفي بين الادعاء والاعتراض تنقسم الذات المدعية

إلى أربع نوات هي: ذات مدعية جلية، ذات مدعية خفية، ذات معترضة جلية، ذات معترضة خفية.

وللتأثير على الخصم أكثر يقتضي على المدعي أن يلجأ إلى تقنيات وآليات

حجاجية أخرى لإثبات ادعائه، وهي مجموعة من الطرائق والآليات والتقنيات اللسانية

و المنطقية والعقلانية التي تمكن المدعي من تحقيق هدفه في التأثير على الطرف

الآخر - من جهة- وتحريك الجمهور - من جهة أخرى- وهي خصائص تتحقق بها

دلالات القول من داخله وفي علاقته بالظروف المقامية والمعرفية والنفسية- التي

أشرنا إليها سابقا- والسؤال الذي يهمنا ونحن في مقام البحث عن الحجاج هو البحث

عن نوع الحجج المعتمدة في الخطاب وطبيعتها.

وقد ميّز أرسطو بين ثلاثة مستويات حجاجية، الأول المتعلق بالمخاطب،

والثاني بالمتكلم والثالث بالخطاب قائلًا: "فأما التصديقات التي نحتال لها بالكلام

فإنها ثلاثة: فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها بالكلام نفسه قبل التثبيت.¹⁴

- يتعلق الأمر في المستوى الأول بالصفة أو الصورة التي يقدمها المخاطب عن نفسه.

- أما الأمر في المستوى الثاني فيتعلق بعملية التأثير في المستمعين (خوف، رهبة غضب، كراهية).

- أما في المستوى الثالث فيتعلق الأمر فيه بالطرق الاستدلالية المعتمدة في الخطاب، وقد ميّز بين نوعين من الأدلة:

1- الأدلة التقنية (الحجج المصطنعة): والمتعلق بالبنية المنطقية للأقوال والمتعلقة بقدرات الخطيب.

2- الأدلة غير التقنية (غير المصطنعة): والمتعلقة بالوقائع والنصوص الاستشهادية الخارجة عن قدرات الخطيب، وتشمل النصوص القانونية، والشهادات القديمة، والسلطة المعنوية للشخصيات العظمى، أو الاستشهاد بواقع أو احتمالات الوقائع والعقود والاتفاقيات، والاعترافات والوصايا.

1-1- الأدلة التقنية:

من الطرائق والتقنيات الحجاجية في النقائض "الطرائق الذاتية"، والمتمثلة في تدخل الذات في العمليات الحجاجية، ليست فقط كونها طرفا من أطراف الحجاج ولكن كذات أسلوبية تمتلك أسلوبا قوليا معيناً تتميز به عن غيرها من الذوات الأسلوبية الأخرى "ذلك أن فعالية وجدية خطاب المتكلم تقتضي تقديم أو إظهار بعض القدرات المعرفية، وبعض المصادر السياقية التي تتعكس بالضرورة في الطريقة أو البناء الأسلوبية الذي يصوغ به قوله الحجاجي"¹⁵

إلى جانب ذلك يعتبر "فيليب برنتون" أن الأساس في مخطط العلاقة الاستدلالية الوارد سابقا هو أن تتم الحجة وفق مبدأ الملاءمة أو المناسبة، أي

اختيار الحجة وفق ما يناسب التداول، أما العناصر الثلاثة الأخرى: المتكلم، والمستمع، والحجة فهي بالنسبة له وسائط أو عوامل لتحقيق هذا الغرض. فالأمر إذًا يحتاج إلى اختيار الأحسن، واختيار الأحسن يقتضي "اللجوء إلى المتداول، سواء تعلق الأمر بالأخلاق أو القانون أو السياسة"¹⁶ أو اللغة.

إن الصراع القائم بين جرير والفرزدق هو صراع لغوي بالدرجة الأولى، فهما ينتميان إلى عصر ازدهار اللغة، والشاعر الفحل - في رأي نقاد هذا العصر - هو الذي يستطيع اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى المراد التعبير عنه. لذلك فلا مناص من القول إن المدعي وظف آليات لغوية اقتضاها السياق، حيث أن كفاءته اللغوية وطبيعة الغرض الذي لأجله دخل في المناظرة رجّحت توظيف بعض الأدوات اللغوية عن غيرها من الأدوات الأخرى.

من هذه الأدوات التعبيرية الدالة على صيغ أفعال التفضيل، وهو الذي يدل " - في أغلب صوره - على الاستمرار والدوام، ما لم توجد قرينة تعارض هذا، فشأنه في الدوام شأن الصفة المشبهة"¹⁷، وهي صيغة تدل على اشتراك الشئيين في معنى معين، وأن أحدهما يزيد في المعنى عن الآخر، سواء كان ذلك المعنى محموداً أو مذموماً، وهو اسم، مشتق، على وزن: «أفعل» يدل - في الغالب - على أن شئيين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه. فالدعائم أو الأركان التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي - في غالب حالاته - ثلاثة:

(1) - صيغة: «أفعل»، وهي اسم، مشتق.

(2) - شئان يشتركان في معنى خاص.

(3) - زيادة أحدهما على الآخر في المعنى الخاص.¹⁸

وهو ثلاثة أقسام:

1- مجرد من (ال) والإضافة وحكم هذا التقسيم أمران:

أ- وجوب إفراده وتذكيره في جميع حالاته، حيث لا تتغير في هذه الحالة صيغة أفعال التفضيل مع الجمع، أو المثنى، أو المذكر، أو المؤنث.

ب- وجوب دخول (من) جارة للمفضل عليه، شرط أن يكون قصد التفضيل باقيا ويستلزم ذلك أحكاما منها:

- جواز حذفهما معا، شرط وجود دليل عليهما.¹⁹

ومن أمثلة ذلك ما ورد في مطلع القصيدة، فقول الفرزدق: أعزّ وأطول، قصد منه أعزّ وأطول من بينك (والكاف تعود هنا على جرير) فلما صار في موضع الخبر استغنى عن «من» لقوة الخبر وخرج مخرج «الله أكبر الله أعلى وأجل» وفي كتاب الله جلّ وعزّ: ﴿والساعة أدهى وأمر﴾²⁰

2- مقرون «بأل»: وهذا يوجب أمرين:

أ- أن يطابق صاحبه في التذكير والتأنيث، والافراد و الجمع.

ب- عدم مجيء من الجارة للمفضل عليه

وذلك في مثل قول الفرزدق:

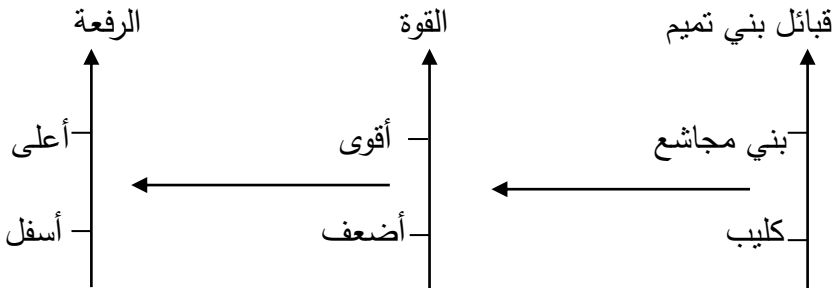
وأنا ابنُ حنظلة الأغرُّ، وإنتي في آلِ ضَبَّةَ للمُعَمِّ المَخُولُ

وقوله أيضا:

يابن المِراغةِ أين خالكُ؟ إنَّني خالي حُبَيْشُ ذو الفَعَالِ الأفضَلُ

الأكثرُونَ إذا يُعَدُّ حَصاصُهُمُ والأَكْرَمُونَ إذا يُعَدُّ الأوَّلُ

يمكن تمثيل ما سبق وفق المخطط التالي



فحسب قانون الخفض للسلّم الحجاجي فإنه إذا صدق القول على مراتب معينة من هذا السلّم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تأتي تحته، ووفق السلّم الاجتماعي للمتأخرين فإن الفرزدق ينتمي إلى أحسن قبائل بني تميم وهي قبيلة مجاشع، أما جرير فهو ينتمي إلى أضعف هذه القبائل وهي بنو كليب.

ولكي يعبر الفرزدق عن مقصديته من القول، وليدعم صيغ أفعال التفضيل - السابقة- لجأ إلى توظيف بعض العبارات الدالة على القوة والكثرة، حيث تنتمي هذه العبارات إلى الفئة الحجاجية نفسها لأفعال التفضيل، حيث يفترض ديكر O. DUCROT أن متكلما يصنف أو يضع الحجة جَ وج في فئة حجاجية محددة بالقضية (م) إذا "اعتبر (جَ) حجة أعلى من (ج) (أو أقوى من (ج)) بالنسبة ل (م) إذا... قبل أن استنتاج (م) من (ج) يتضمن قبول استنتاج (م) من (ج)، والعكس غير صحيح"²¹ وهذه الحجج تدخل في إطار ما يسميه "بريتون" بالحجج السلطوية Les arguments d'autorité .

تظهر سلطة المدعي بذلك من خلال سلطة بعض الصيغ الأسلوبية أو الكلمات التي يوظفها في خطابه، والتي تحمل معنى التفوق والقوة، ومن هذه الصيغ ما يدل على الكثرة وذلك في مثل قوله:

ومعصّبٍ بالتّاجِ يخفق فوقهُ خرقُ الملوكِ له خميسٌ جحفُ

فكلمة خميس: تعني الجيش، أما الجحفل فتعني الكثير من الخيل.

وقوله أيضا:

وإذا دعوتُ بني فقيمٍ جاني مَجْرٌ، لَهُ العَدَدُ الَّذِي لَا يُعَدُّ

و إذا الرّباعُ جاني دُفاعُها مَوْجًا كأنَّهُمُ الجرادُ المُرسَلُ

فالمجر هو الجيش الكثير، أما الدفاع فهو السيل حين يكثر حيث شبه كثرة الرجال بالسيل حين يندفع للتعبير عن قوة الجيش.

وإذا كان للسكاكي فضل الزيادة في تقسيمه البلاغة إلى ثلاثة علوم (علم المعاني علم البيان، وعلم البديع) فإن لسابقه فضل الريادة في الإشارة إلى هذه العلوم وخاصة منهم عبد القاهر الجرجاني، الذي حاول من خلال كتابه (دلائل الإعجاز) إنشاء علم للمعاني، فنظم الكلم عنده لا يتم بضم الشيء كيفما جاء واتفق، وإنما باقتفاء المعاني وترتيبها حسب ترتبها في النفس²²، فقول القائل (قتل الخارجي زيد) بدل (قتل زيد الخارجي) إنما لعلمه أن الناس الذين سيُلقى عليهم الخبر يهتمهم منه فائدته، وهو أن يعلموا أن الخارجي قد مات فكفوا بذلك شره، ولا يهتم في ذلك الفاعل بقدر ما يهتمهم المفعول به.²³

فكذلك قول الفرزدق:

وَهُمُ الَّذِينَ عَلَى الْأَمِيلِ تَدَارَكُوا نَعَمًا يُشَلُّ إِلَى الرَّئِيسِ وَيُعْكَلُ
وَهُمُ الَّذِينَ عَلَوْا عُمَارَةَ ضَرْبَةً فَوْهَاءَ فَوْقَ شُؤْنِهِ لَا تُوصَلُ

فالابتداء بالضمير (هم) وتأكيد به باسم الموصول (الذين) كان للتركيز على الفاعلية فهو في مقام الفخر، ويعني بالضمير (هم) بني ضبة أخواله وزيد الفوارس منهم. كما نلاحظ أن التقديم والتأخير في الكلام في هذا المقام من دواعي الأغراض البلاغية المتمثلة في تقوية الحكم وتقديره، وذلك في مثل قوله: وهم الذين علوا، وهم الذين على الأميل... فهذا أبلغ في تأكيد قوتهم مما لو قال: والذين علوا، أو الذين على الأميل. "فنتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتبارا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها"²⁴ ومن أهمها:²⁵

- 1- التشويق إلى متكلم.
- 2- تعجيل المسرة أو المساءة للتناول أو التطهير.
- 3- كون المتقدم محط الإنكار والتعجب.
- 4- النص على عموم السلب أو سلب العموم.

5- تقوية الحكم وتقريره.

6- التخصيص.

7- التثبيح على أن المتقدم خبر لا نعت.

إن الخبر الذي ألقى على المخاطب من قبل المتكلم هو خبر إنكاري، لذلك لزم عن هذا الأخير توكيده - في بعض المواضع - بمؤكد أو اثنتين ومن ذلك: الأداة إنّ، في مثل قوله:

إنّ ابن ضبّة كان خيراً والدّاً وأتمّ في حسب الكرام وأفضّل

حيث تفيد إنّ في هذا الموضع توكيد الخبر الذي هو موضع الشك أو الإنكار لدى المخاطب والمحقق لدى المتكلم، إذ من الخطأ البلاغي استخدام (إن) وأن) لغير الموضع والتأكيد بهما.²⁶

الأداتان: إنّ واللام، وذلك في مثل قوله:

إنّا لتضربُ رأسَ كلِّ قبيلةٍ وأبوكَ خلفَ أتانِهِ يتقمّلُ

مؤكّدا خبر قوتهم بمؤكّدين: اللام والأداة إنّ.

استخدم الشاعر في قصيدته البحر الكامل ذا التفعيلات المتكررة (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، حيث يرى الباحث "أحمد سيّد محمد" في كتابه "نقائض ابن المعتز وتميم بن المعز" أن هذا الوزن يصلح للتعبير عن حالة الانفعال، في مقابل البحور ذات التفعيلات المختلفة التي تصلح - حسب نفس الباحث - للمناقشة.

1-2- الأدلة غير التقنية:

يدخل ضمن الحجاج ما هو خارج عن قدرات الشاعر اللغوية ويتمثل ذلك في الاستشهاد ببنيات ووقائع خارجية و"هي بنيات مستمدة من الواقع الماضي، بما يختزنه من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية أو شخصية تترجمها الحكّم والأمثال والحكايات والكنائيات وغيرها... تكون معروفة من قبل، وذات قيم مجتمعية، تحظى باحترام واهتمام الأفراد والجماعات."²⁷

وتدخل هذه التقنية الحجاجية ضمن كفاءة المدعي، مما يكسبه سلطة أكثر، فهو إلى جانب امتلاكه الكفاءة اللغوية والعلمية (كمعرفة اللغة، والنحو...)، يمتلك كفاءة معرفية، فهو مطلع على تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي فذكر شعراءهم وأيامهم، والمعارك التي خاضوها وانتصروا فيها، وقبائلهم، وقوادهم. وتدخل هذه التقنية أيضا ضمن ما يسميه الجاحظ بالشاهد و "هو استشهاد على شيء ما بقرآن أو حديث أو شعر أو مثل أو خبر مروى بهدف اثباته أو إنكاره أو الإحتجاج له أو بطلانه أو نحو ذلك".²⁸

وقد لجأ إليها المدعي لأنها تنتمي إلى الآراء المشتركة Opinions communs التي تدخل ضمن حجج المشاركة - كما يسميها فيليب برينتون - مضيفا إليها المواضع Les lieux والقيم Les valeurs التي "تلعب دورا أساسا في الحجاج كتنشيط تواصل".²⁹

ضمن هذه الأبيات استشهاد المدعي بالخبر الذي يعني "معلومة، تاريخية أو أدبية أو شخصية أو غيرها"³⁰ يرويها واحد أو أكثر، يتناقله الرواة الآخرون فيما بينهم يكون أولهم شاهدا عليه وراويا له، والآخرون - من يأتون بعده - لا يتجاوزون حد الرواية، وذلك بإشارته إلى وقائع وشخصيات وأحداث ينتمي بعضها إلى التاريخ السحيق، وبعضها الآخر عايشها الشعاران ومنها، مما ذكر في هذه النماذج : يوم بزاحة، يوم فلك الأميل... الخ.

هذه الوقائع والشخصيات في أصلها هي بنيات تختلف عن بنية اللغة، لكنها بالمشافهة أو الكتابة أمكن تحويلها إلى وقائع لغوية، حيث تكتسب اللغة في هذه الحالة وظيفة إحالية بتحويل اتجاه المطابقة من الواقع إلى اللغة. لأن "علم الإحالة يتيح إعادة بناء مجرد للواقع بحيث يمكننا ربط وحدات مجردة في اللغة/ (الكلمات ومقولات وعلاقات) بوحدات مجردة في الواقع الخارجي، وذلك من خلال المعاني المفهومة لوحدات اللغة".³¹

يعبر فان ديك عن ذلك بالحد، ويعرفه بقوله: "كل عبارة يمكن استعمالها للإحالة على ذات أو ذوات في عالم ما"³² فكل جملة هي تعبير عن واقعة في عالم حقيقي أو متخيل. وتتكون الجملة من مجموعة من الحدود تدل على الذوات المشاركة في الواقعة التي تحيل عليها. وقد أشار المدعي في خطابه إلى بعض من الوقائع هي بمثابة حجج على ادعاءاته بامتلاكه المكانة العالية وسط القبائل الأخرى. وهي مدرجة مسبقا في النموذج الذهني للمخاطب استنادا إلى المعارف المشتركة بينهما، ومن الوقائع ما يحيل عليه من خلال ما يلي:

وَهُمْ عَلَى ابْنِ مَزِيْقِيَاءَ تَنَازَلُوا وَالْحَيْلُ بَيْنَ عَجَاجَتِيهَا الْقَسْطَلُ
وَهُمُ الَّذِينَ عَلَى الْأَمِيلِ* تَدَارَكُوا نَعْمًا يُشَلُّ إِلَى الرَّئِيسِ وَيُعَكَلُ
فيدل المحمول تداركوا، يشل، يعكل، على واقعة ما.

أما الحدود: ابن مزيقياء، الرئيس، والضمير (هم) - الذي يعود على شخوص ذكروا من قبل وهم: بنو ضبة وزيد الفوارس منهم - فهي ذوات مشاركة في الواقعة في حين يدل الحد: الأميل، على الطرف المكاني الذي تحققت فيه الواقعة وهو رمل يعرض ويستطيل مدار يوم أو يومين.

فيوم فلك الأميل كان لبني ضبة على بني شيبان، حيث أغار بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني (وقومه من بكر وائل) على بني ضبة، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق (رئيس بني ضبة)، فأتى النذير بن ضبة فلحق بالخيل وشد عاصم بن خليفة على بسطام وقتله فرد النعم.³³
أما قوله:

وَمَحْرَقًا صَفَدُوا إِلَيْهِ يَمِينَهُ بِصَفَادٍ مَقْتَسِرٍ أَخُوهُ مَكْبَلُ
مَلِكَانَ يَوْمَ بَرَاخَةَ قَتَلُوهُمَا وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْهِ مَكَلُّ

فهذه الأقوال أيضا تحيل بدورها على مجموعة من الحدود، فالمحمول: قتلوهما يدل على واقعة ما وهي (الحرب)، أما الحد "ملكان". فيشير إلى الذوات

المشاركة في الواقعة ويقصد بها محرقا وأخاه زياد وهما ولدا الحارث بن مزريقا ملك الحيرة. في حين يدل الحد "بزاحة" على الظرف المكاني الذي تحققت فيه الواقعة وهي بزاحة ويعني الماء.

ويوم بزاحة كان لضبّة على إياد، فقد أغار محرق الغساني وأخوه زياد- في إياد وطوائف من العرب من تغلب- على بني ضبّة بن أد ببزاحة، فاستاقوا النعم فلحقت بهم بنو ضبّة فأدركوهم، فاقتتلوا قتالا شديدا، فأسر زيد الفوارس محرقا وأخاه، فقتلتها بنو ضبّة.³⁴

أما قوله:

وَهُمُ الَّذِينَ عَلَوْا عُمَارَةَ ضَرْبَةً فَوْهَاءَ فَوْقَ شَوْنِهِ لَا تُوصَلُ

فيدل المحمول علوا على واقعة ما.

أما الحدود: هم، وعمارة، فهي ذوات مشاركة في الواقعة، في حين لم يذكر الحد الدال على الظرف المكاني الذي تحققت فيه الواقعة. وتشير كتب تاريخ الأدب إلى أن هذا اليوم يدعى: يوم أعيار أو يوم النقيعة.

أما قوله:

وعشيةَ الجَمَلِ المَجَلِّ ضارِبُوا ضَرْبًا شَوْنُ فَرَاشِهِ تَنْزِيلُ

فالمحمولات: ضاربوا، تنزِيل، تدل على واقعة ما، أما ضمير الجمع (للغائب) في ضاربوا فيحيل على الذوات المشاركة في الواقعة التي دارت بين الإمام علي و السيدة عائشة. أما الظرف المكاني فهو غير مذكور.

يدخل ضمن الأدلة غير التقنية أيضا المتفاعلات النصية الدينية، التي تتداخل بالتاريخ "وذلك من خلال إشارات إلى أسماء دينية لها بعد تاريخي (...). أو إشارات إلى بعض القصص أو الوقائع فيهما"³⁵. فما يميز نقائص العصر الأموي عن نقائص العصر الجاهلي هو توظيفها لبعض ما ورد في القرآن سواء من ناحية

المعاني أو الإشارة إلى بعض قصص الأنبياء، مما أدى إلى نموها وتطورها وتميزها.

من الوقائع التاريخية التي لَمَحَ إليها المدعي من خلال خطابه قصة موسى عليه السلام، حين فرّ من فرعون قاصدا فلسطين، فعندما وصل إلى مدين (جنوب فلسطين) وجد بئرا اجتمع فيه الناس يشربون منه ويسقون مواشيهم، فعندما وصل إليه لمح امرأتين واقفتين تُبعدان غنما لهما لئلا يختلط بغنم الآخرين وتنتظران حتى يخلو البئر من الرعاة - لضعفهما وقوة الرجال- فلم يعجب ذلك موسى، فتقدم منهما يسألهما عن شأنهما فأخبرتاها أنّهما لا تقدران ورود الماء إلّا بعد انصراف هؤلاء الرجال لضعفهما وضعف والدهما وكبر سنه³⁶. حيث إنه أول ما يتبادر إلى ذهن المتلقي- ممن له خلفية معرفية مسبقة عن قصص الأنبياء- وهو يقرأ هذا البيت.

إِنَّ الزحام لغيركُمْ فتحَيِّتُوا وَرَدَ العشيَّ إليه يخلوا المنهَلُ

هي هذه القصة، حيث مائل الفرزدق هنا بين الأختين اللتين وردتا الماء لسقي أنعامهما وبين جرير، وهذا التمثيل ليدلّل به على ضعفه مقارنة بقوته هو. ويبدو أن القدماء قد تناولوا هذا المعنى أيضا، فليس من المستبعد أن يكون الفرزدق قد أخذه عن عمرو بن كلثوم القائل في معلقته المشهورة:

ونشربُ إنْ وردنا الماءَ صَفْوَا ويشربُ غيرنا كَدِرًا وطِينا³⁷

فيمثل التناسل في هذه الحالة دورا حجاجيا، وذلك بإظهار كفاءة الشاعر الموسوعية فمن مقاييس شعرية الشاعر في القديم أن يكون حافظا لشعر غيره من الشعراء، الفحول منهم خاصة كامرئ القيس، لبيد بن ربيعة... الخ ومن المعاني القرآنية التي وظفها في خطابه معنى الآية الكريمة ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ - كما أشرنا إلى ذلك سابقا- للتعبير عن مكانة خصمه الضعيفة.

آليات الاعتراض.

ينجم عن حالة الادعاء ردود أفعال لدى المتلقي، إما بالقبول أو الرفض والمخالفة. فالمناظرة عادة ما تكون من النوع الثاني. فالاعتراض من لوازم الادعاء ودليل على الفعالية الحجاجية بين الطرفين، ويدل خاصة على أن الفهم الجيد قد حصل. وما يميز الاعتراض عن الادعاء أن المعارض لا يكون فيه حرا في بناء خطابه أو استدلالاته، بل تتمثل وظيفته بالدرجة الأولى في تنفيذ حجج المدعي. مما يجعله مقيدا.

فالاعتراض كما يقول "طه عبد الرحمن": فعل

- استجابي - لا ابتدائي - حيث أن المعارض عليه يصدر قوله كرد فعل على قول العارض.

- إداري - لا إقبالي - فهو لاحق لقول العارض ويتجه أثره إلى ما قبله.

- تشكيكي: حيث يطالب المعارض خصمه بالتدليل على دعواه أو إبطالها.

- سجالي - لا وصفي - لأن النفي الاعتراضي هو ادعاء بمنازعة قول

العارض بعكس النفي الوصفي الذي يكتفي بإعطاء النسبة الحكمية بين الموضوع والمحمول³⁸.

وعليه فإن المعارض حاول من خلال خطابه خلق نماذج من الحجج

المضادة للنماذج المؤسسة من قبل المدعي وحاول إكسابها فعالية أكثر، حيث يفقد

من خلالها النموذج الأصلي قيمته وفعالته. فأنجع سلاح يمكن أن يردّ به

المعارض على ادعاءات المدعي هو السلاح الذي هوجم به.

ومن حق المعارض أن يوجه ثلاثة أصناف من الاعتراضات على دعوى

المدعي:

1- الاعتراض على اللفظ في حالة تعدد معانيه، أو غرابته، فيطالب

المعارض من المدعي التفسير والتوضيح.

2- الاعتراض على صحة نقل الدعوى، في حالة ما إذا اعتمد المدعي في استشهاداته على النقل (من نص مكتوب أو مروي).

3- الاعتراض على مضمون الدعوى: ويكون بإحدى طريقتين:

- إما بالاستناد إلى دليل، ويشمل أصنافا ثلاثة: "المنع" و"النقض" و"المعارضة".

- أو بعدم الاستناد إلى دليل ويسمى بـ "المنع".³⁹

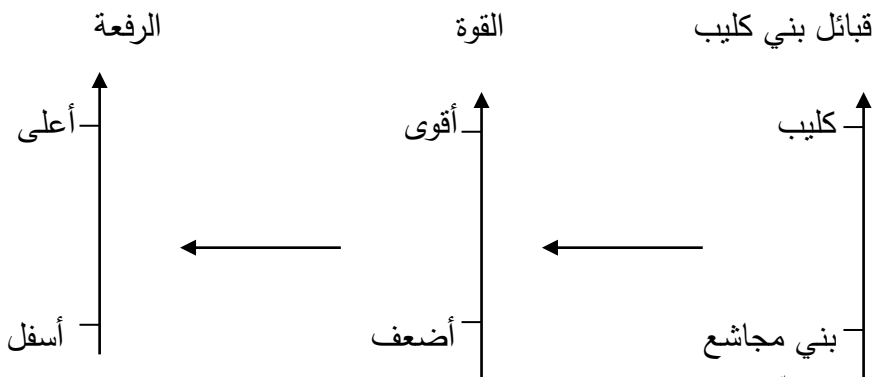
بدأ المعارض اعتراضه بتوظيف إستراتيجية إمتاعية هدفها الإقناع وهذه الإستراتيجية هي إستراتيجية التلاعب العاطفي المتعلقة بالمتلقين أو المستمعين: الإيثوس-ETHOS* بتعبير أرسطو، سواء تعلق الأمر بالمقصودين أو غير المقصودين بالخطاب. حيث بدأ قصيدته بالنسيب، على طريقة شعراء الجاهلية، لاستمالة الجمهور وذلك "لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل، والميل إلى اللهو والنساء، وإن ذلك استدراج إلى ما بعده".⁴⁰

بعدها باشر في غرضه وهو الهجاء أو بالأصح "النقض" بتفنيد أدلة المدعي وادعاء دعوى أخرى تساويها قيمة وتناقضها معنى، معتمدا في ذلك على الحجج السلطوية والحجج المشتركة، فهو شاعر وهذا يعني أنه يمتلك كفاءة لغوية تضاهي كفاءة خصمه وإلى جانب امتلاكه الكفاءة فهو أيضا يمتلك معرفة تمكّنه من الدفاع عن قصيدته بنفس حجج المدعي. فإذا كان الفرزدق قد أشار إلى بعض الشعراء الذين يفتخر بهم في الشاعرية أو إلى بعض المعارك التي فازت بها قبيلته ليتباهى بها أمام خصمه، فإن جريرا أشار إلى الشعراء أنفسهم الذين افتخر بهم الفرزدق ليكونوا مصدر هجاء، كإشارته إلى المهلهل والمرقس اللذين لا يعتبر شعرهم من الشعر الجيد، ولا قالوا الكثير منه، إلى جانب إشارته إلى بعض المعارك التي هزم فيها الخصم، فقلّب فخر خصمه هجاء.

ينفي إذا جرير ادعاءات الفرزدق باستلزام قضية أخرى تناقض القضية الأولى فيقلب السلم الاجتماعي ليجعل مكانة قبيلته في أعلى السلم ومكانة خصمه أسفلها، فيقلب فخر خصمه هجاء وينسب الفخر الصحيح لنفسه حيث يقول:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا عِزًّا عَلَاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مَنَقَلٍ
ويقول أيضا:

إِنِّي إِلَى جَبَلِي تَمِيمٍ مَعْقِلِي وَمَحَلُّ بَيْتِي فِي الْيَفَاعِ الْأَطْوَلِ⁴¹
فيصبح السلم الحجاجي للقضية الجديدة بهذا الشكل:



وقد وظّف الشاعر الأدوات اللغوية نفسها من: أفعل تفضيل (أطول)، وأدوات توكيد (إن) وعبارات دالة على القوة والرفعة (جبل). وهاجيا في الوقت نفسه خصمه ومعترضا على ادعاءاته، حيث يقول:

أُخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ⁴²

إذ تجلى الاعتراض في هذا الملفوظ في رفض المعترض إدعاءات المدعي بتبديل قانون السلم الحجاجي - وهو عكس قانون الخفض - إذ يترتب على نفي إحدى المراتب السلمية نفي دلالة الخطاب، فإذا كان يدل على مدلول معين فإن نفيضه يدل على نقيض المدلول، كما أن الدليل الأقوى يتحول في حالة النفي إلى دليل أضعف والعكس صحيح.⁴³

وقد عبّر عن ذلك بالألفاظ التالية: أخزى، الحضيض، الأسفل، التي يمكن أن تشكل في ذاتها سلماً حاجبياً، فكلمة الحضيض أقوى دلالة على معنى المنزلة الحقيرة من كلمة أسفل وهذا يدلّ على تدني مكانة المدعي دون مكانة المعارض، فالله سامك السماء ورافعها أخزى مجاشعا وأنزل مقامها في الدرك الأسفل، وكلمة أسفل تستلزم كلمة أخرى هي أعلى من خلال علاقة التناقض.

وتبعاً لذلك فإن المعارض ساير المدعي في ادعاءاته، حيث أوجب منه ذلك القيام بوظيفتين، تبعاً لوظائف المدعي:

- وظيفة الاعتراض.

- وظيفة الادعاء.

كما أنه قام بنوعين من الاعتراضات:

1- اعتراض جلي على الادعاء الخفي، وذلك في مثل قوله:

أخزى الذي سمك السماء مجاشعاً وبني بناءك في الحضيض الأسفل⁴⁴
ويقول أيضاً:

أبلغ بني وقبان أن حلوهمهم حقت فلا يزنون حبة خردل⁴⁵

2- اعتراض خفي على الادعاء الجلي: وهو معنى مضمّر يمكن استنتاجه

من المعنى الجلي السابق وهو: بيتي أعلى من بيتك.

والادعاء، أيضاً، في حقيقته ادعاءان:

1- ادعاء جلي على الاعتراض الخفي: وذلك في مثل قوله:

إن الذي سمك السماء بنى لنا عزاً علاك فما له من منقل⁴⁶

ونشير هنا إلى أن المدعي الثاني (جرير) استند في ادعاءاته إلى نفس سند

المدعي الأول (الفرزدق)، فالله سامك السماء جعل لهم عزاً أعلى من عزهم بقوله

(علاك)، غير أن هذه الحجة تفوق الحجة الأولى قوة لأن كلمة "علاك" من

الناحية الدلالية أقوى من دلالة الكلمات أعز وأطول. وتعود الكاف هنا على

الفرزدق، وأن ما بناه الله لا مرد له لذلك لزم عن ذلك أيضا، الثبات والاستمرار. وهي بنيات أفرزتها السياقات الخارجية كالمعتقدات الدينية والايان بالجبرية، فهي تعتبر من القيم المشتركة بينهما. فبالاستدلال المنطقي يمكن تجسيد هذه الصورة كما يلي:

م 1 : إن الذي سمك السماء بنى لنا عزًا أعلى من عزك.

م 2 : ما بناه الملوك ليس له منقل.

ن : إن عزنا أعلى وليس له من منقل.

2- ادعاء خفي على الاعتراض الجلي: وهو معنى مضمحل يمكن استنتاجه

من المعنى الجلي السابق وهو: بيبي أحسن من بيتك.

تنقسم الذات المعترضة في الحالات السابقة إلى أربع ذوات: ذات معترضة

جلية، ذات معترضة خفية، ذات مدعية جلية، ذات مدعية خفية.

من الملاحظ من خلال الاعتراضات السابقة أن جريرا لم يعترض لا على

ألفاظ الدعوى ولا على صحة نقل الأدلة المستشهد بها، وإنما ركز في اعتراضاته

على مضمونها مستندا في ذلك على عدة سندات لتقوية الاعتراض.

يتشابه السند والدليل في أن كليهما يُفيد معنى «الطريق الموصل» إلى

ملفوظ أو معقول.⁴⁷ أما الملفوظ الذي يدرك بالسند فهو «المتن»، أما المعقول

فهو نوعان:

- نوع التّقوية: ويمثل الأقوال التي يمكنها أن تقوي الاعتراض دون أن

تلعب دور الدليل.

- نوع التأسيس: وهو مجموعة من الاعتبارات التي يتطلبها الدليل

لإظهار وجه استقامته.

ويستند المعترض على النوع الأول من السندات وهو نوع التّقوية ويظهر

ذلك من خلال ما يأتي.

يقول جرير:

أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سَمًّا نَاقِعًا، فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ⁴⁸

فهذا القول جاء ردا على افتخار الفرزدق بالشعراء الذين سبقوه، الفحول منهم وغير الفحول بهجاء يشمل الشعراء قاطبة بأنه سيسقي الآخر بكأس الأول. وقصد جرير بقوله "أعددت للشعراء سما" قساوة هجائه وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث شبه شعره بالسم ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به والملاحظ من خلال هذا الاعتراض أن جريرا ركز على مسألة "الملكة الشعرية" في الرد على الفرزدق، بالدرجة الأولى، وذلك يعود إلى كونهما متساويين فيها في حين أنه لم يركز، أو بالأحرى لم يبدأ، بالتفوق الاجتماعي، لأنه أدنى منه منزلة.

أما قوله:

أَحْلَامُنَا تَرْنُ الْجِبَالِ رَزَاتَةً وَيَفُوقُ جَاهِلُنَا فَعَالَ الْجُهْلِ⁴⁹

فهو رد على قول الفرزدق:

أَحْلَامُنَا تَرْنُ الْجِبَالِ رَزَانَةً وَتَخَالِنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجَهُ

مدعيا فيه أنهم إذا ثاروا وهاجوا في الحروب تفوقوا على كل من ثار أمامهم.

من سندات هذا الاعتراض أيضا:

- **السند الجوازي:** وصيغته:

إني لا أسلم لك هذه الدعوى لم لا يكون كذا؟⁵⁰

ومن أمثله في الخطاب قول جرير:

حَسَبَ الْفَرَزْدَقِ أَنْ تُسَبَّ مُجَاشِعٌ وَيَعُدُّ شِعْرَ مَرْقَشٍ وَمُهْلَهْلِ⁵¹

وهو نقض لافتخار الفرزدق بالشعراء الذين ورث عنهم الشعر وعدّ منهم المرقش والمهلل، حيث يرى جرير أنه يكفي الفرزدق إهانة أو تسب قبيلته أن يعد

المرقش والمهلل منهم. فالمهلل معروف عنه اختلاف شعره واضطرابه وسمي بالمهلل لهلهة شعره كهلهة الثوب. أما المرقش (الأكبر) فما روي عن شعره الكثير، لذلك لم يذكرهم ابن سلام الجمحي في طبقاته. فتكون صيغة هذا المنع بهذا الشكل:

إني لا أسلم لك دعوى تفوقك ← فلم لا يكون ذلك دليلا
 في الشعر لوراثتك له عن المهلل والمرقش على أنك لست بالشاعر الفحل
 - **السند الحلي**: وصيغته:

يصح ما ذكرت لو كان الأمر كذا.⁵²

ومن أمثله في الخطاب قول جرير:

وامدَحْ سَرَاةَ بَنِي فُقَيْمٍ إِنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ وَتَأْرَهُ لَمْ يَقْتَلِ⁵³

أَعْيُنُكَ مَأْتَرَةُ الْقِيُونِ مُجَاشِعٍ فَانظُرْ لَعَلَّكَ تَدَّعِي مِنْ نَهْشَلِ⁵⁴

وهو نقض لافتخار الفرزدق ببني فقيم وبني نهشل، فيحق للفرزدق أن يفخر ببني نهشل لو لم يقتلوا أباه، وببني تهشل لو كان ينتسب إليهم، فهذا سند على نقيض الدعوى، حيث عاب جرير على الفرزدق افتخاره هذا. فتكون صيغة المنع بهذا الشكل:

يصح لك أن تفخر ببني فقيم ← لو ← لم يقتلوا أباك، كما أنك لم تتأروا له (حيث قتله

ذكوان من بني فقيم وأمه من بني يربوع.

يصح لك أن تفخر ببني نهشل ← لو ← أنك تنتسب إليهم ولست من مجاشع.

- **سند قطعي**: وصيغته:

كيف ذلك وإلا كان الأمر كذا؟⁵⁵

ومن أمثله قول جرير:

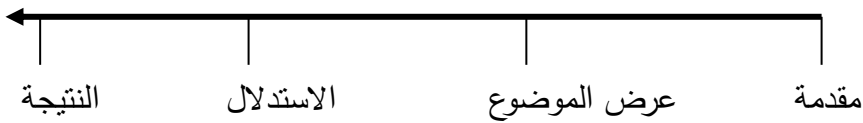
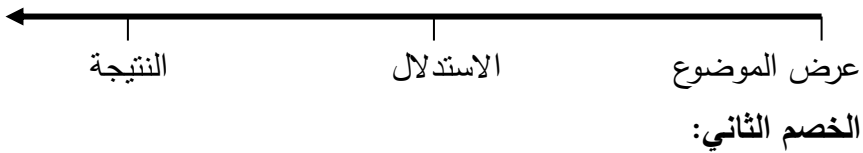
وَبِرَحْرِحَانٍ تَخْضَخَضَتْ أَمْثَلَاؤَكُمْ وَفَزَعْتُمْ فَرَعَ الْبَطَانِ الْعَرَّلِ⁵⁶

وهو نقض لافتخار الفرزدق بقوتهم وشجاعتهم في الحروب. فهنا يحيل جرير على (يوم رحران)، وكانت الحرب فيه بين الأحوص بن جعفر ومعه أفناء عامر، وبين بني دارم ومعهم الحارث بن ظالم⁵⁷ فكانت الهزيمة فيها على بني دارم. فتكون صيغة هذا المنع:

كيف تدعون القوة والشجاعة، لو كان الأمر كذلك لانتصرتم في يوم رحران.

نستنتج مما سبق أن العلاقة الاستدلالية علاقة أساس في النقائض، وهي التي تجعل الخطاب يتكوثر بتوليد حجة من حجة أخرى، كما نسجل أيضا ارتقاء في الذوات، حيث ترتقي من كونها ذوات تواصلية إلى ذوات حجاجية (مدعية ومعتزلة). كما نلاحظ أن الحركة الاستدلالية عند المتخاطبين مختلفة، فكل طرف منهما سار في خطابه مسارا خاصا وفقا للقدرات الشعرية لكل منهما، فالأول مولع بالفخر فباشر فيه، والثاني يجيد النسب فبدأ به.

الخصم الأول:



- * - الرأي بالنسبة لبريتون مجموعة من الاعتقادات والقيم والتمثلات التي يكونها الإنسان حول العالم، والتي يمكن أن تشكل شخصيته. ينظر : Philippe Breton, op.Cit, p24.
- 1 : Voir : op. Cit. .p. 19-20
- 2 : Ibid., p 34
- 3 - طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص248 .
- 4 - ينظر، طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 225 .
- 5 - التفتازاني، شرح العقائد النسفية في أصول الدين وعلم الكلام، د.ط، حققه : كلود سلامة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1974، ص 17.
- 6 - ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 75-76.
- 7 - محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص 122 .
- 8 - عبد الرحمن، ابن خلدون، المقدمة، 3ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967، ص1057.
- 9 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 506.
- 10 - ينظر، عباس حسن، النحو الوافي، ط10، ج3، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص 242.
- 11 - Voir : Philippe Breton, op. Cit. p : 26
- 12 - جرير، الديوان، ص 318.
- 13 - سورة العنكبوت، الآية 41.
- 14 - أرسطو طاليس، فن الخطابة، ص 10.
- 15 - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 173.
- 16 - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب، 2005، ص 16.
- 17 - عباس حسن، النحو الوافي، ص395.
- 18 - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص395.
- 19 - ينظر، عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص395 وما بعدها.

- 20 - أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، هامش الصفحة 292.
- 21 - Ducrot, Oswald, les échelles argumentatives, les éditions de minuit, 1980, p : 18.
- 22 - د القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد التونسي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005 ص 223.
- 23 - ظر: م. ن، ص 73-74.
- 24 - د العزيز عتيق، علم المعاني، ص 136.
- 25 - م. ن . ص 138 - 139.
- 26 - ينظر: عباس حسن، النحو الوافي ج1، هامش الصفحة 631.
- 27 - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 94.
- 28 - أبو عثمان، الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 86.
- 29 - Philippe Breton, op. Cit. p, 72.
- 30 - عبد الله العشي، زحام الخطابات، ص 112.
- 31 - فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب مصر، 2001، ص 50 .
- 32 - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، د.ط، دار الأمان، الرباط، 1996، ص 132.
- * - يوم فلك الأمل، ويقال له أيضا يوم نفا الحسن، والحسنُ شجر يقال له كذلك لحسنه.
- 33 - ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص302.
- 34 - ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ص 306-309.
- 35 - سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2001 ص 107 .
- 36 - ينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير، قصص الأنبياء، ضبط وتصحيح: عز الدين الدمشقي د.ط، دار القلم العربي، حلب، 2003، ص202.

- 37 - أبي عبد الله الحسين بن أحمد، الرّوزني، شرح المعلقات السّبع، د. ط، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص 188.
- 38 - ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 43.
- 39 - ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 78-79 .
- * - Ethos: أصله روح الشعب ويعني الطبع المشترك بين جماعة من الناس تنتسب لمجتمع بعينه. ينظر: سهيل إدريس، المنهل، قاموس فرنسي- عربي، دار الآداب، بيروت، ط 35، 2006، ص 493.
- 40 - ابن رشيّق، العمدة، ج 1، ص 364.
- 41 - ابن رشيّق، العمدة، ج 1، ص 358.
- 42 - جرير، الديوان، ص 357.
- 43 - ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 106.
- 44 - جرير، الديوان، ص 358.
- 45 - جرير، الديوان، ص 359.
- 46 - م . ن . ص . ن .
- 47 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 134.
- 48 - جرير، الديوان، ص 357.
- 49 - جرير، الديوان، ص 358.
- 50 - ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 80 .
- 51 - جرير، الديوان، ص 358.
- 52 - ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 80.
- 53 - جرير، الديوان، ص 358.
- 54 - م . ن . ص 357.
- 55 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 80.
- 56 - جرير، الديوان، ص 359.
- 57 - ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثني، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، هامش ص 353.